فاذا رفض « جيد الامانة » ان يحلف اليمين طلب منه ان يفسر سبب رفضه ، واديـــن المتهم بدفع مبلغ الدية كاملا اذا كان قد قبل قسمية « جيد الامانة » · وللمتهم حق رفض رجل سماه المدعون ليكون « جيد الامانة » ويتم هذا حينما يكونون على علاقة غير وديـــة، ولا بد ان يعلن المتهم صراحة : « اذكروا الله يا ناس وبيني وبين فلان شال ومال » ·

وسيرفض المزكون الثلاثة تأكيد يمين الآخرين فقط حينما لا يكون اي عضو من قبيلتهـم موجودا لحمل هذه المسؤولية على عاتقهم · وبوجه عام لا يملك احد ـ باستثناء الاقوياء ـ حق اداء اليمين · وبعد اليمين يدفع المتهم تسع الدين ، ويتم الاعلان عن حريته · ويطلق على هذا الحفل اسم « التسع والبراءة » ·

وفي حالات السرقة والخصومة الناشئة عن تحويلات تجارية يقبل الشهود ايضا بعد ان يقسموا على المصحف او بولي او نبي ·

واذا قتل شخص واتجهت الشبهة الى عديدين ، يلجأ الى « نار التجربة » او « نـــار البراءة » او « البشعة » ، وهي قطعة من الحديد ، او « مهمزة » تحمى حتـــى تصبـــح متوهجة ، ويتقدم المشتبه فيهم واحدا بعد آخر للعقها بالسنتهم · ويتم هذا العمل الوحشي تحت اشراف شيوخ الدراويش من الطائفة الرفاعية ، الذين يلقبون « المبشعين » · ويقول الشخص المتهم : « انا بكونك البشعة ، محمول ، مزموم ، والبشعة والغرامة علي » · وكل من يمتحن بهذه المحنة لا بد ان يدفع رسما قدره ٥٠٠ قرش ، وهذا الرسم هو « البشاعة» · ويصحب الشهود المدعي والمتهم · ويلعق الاخير الحديد المحمي · اما من يفزع او يصرخ او يظهر علامات الالم فيعد المتهم · ولعل هذه العادة ادخلت في الاصل بهدف اخافـــة الناس ، واجبارهم على قول الصدق · وكثيرا ما يحاول الرجل الذي يشعر بذنبه ان يجد سرا ـ واحدا يرتب الامر مع المدعي قبل ان يؤتي به الى « نار التجربة » (٧٧) ·

وثمة اختبار آخر من هذا النوع ، وان كان اكثر انسانية الى حد كبير ـ هو « البلعة » ويقوم على الابتلاع السريع ودون تردد اما لشيء صلب ـ كالخبز الجاف ـ او شيء مثير للغثيان او كريه كالدواء · ومن يتردد او يشكو او يتقيأ يتهم ، حتى على الرغم من انـه ربما يكون شخصا ذا معدة ضعيفة · أما اولئك الذين يؤدون هذا الفعل سريعا وبرباطـة جأش فتعلن براءتهم ، على الرغم من انهم قد يكونون الجناة الحقيقيين · ويخيف الشيخ المتهم بتكرار بعض الكلمات السحرية والادعية على الاشياء التي يتوجب ابتلاعها ، زاعما انها بذلك تكتسب مقدرة خاصة ، لها تأثير مختلف على المذنب منه على البريء (٧٨) · ولا اعتراض على نتيجة هذه التجربة ·

وبعد ان يكتمل التحقيق يسأل القاضي المتهمين عما اذا كان لديهم ما يضيفونه ، او اي اعتراض يقدمونه ، قائلا : « لقد قررت ···· » ثم يأمر الضامن بتنفيذ القرار · ويمكن للقاضي ان يؤجل القرار الى ان يتم حلف يمين · وقد يحدث هذا في الحالات التاليـــة : (أ) لتأمين دليل جديد ، (ب) لاعطاء وزن اضافي لالتماسات احد الطرفين ، (ج) لاتاحـة الوقت لدراسة اكثر عناية للقضية ، ومقارنتها بقضايا اخرى ذات طبيعـــة مماثلة ، (د) وحينما يكون هناك احتمال لتسوية بالتراضي · ويعلن الحكم عادة في ختـــام الجلسة الاولى ، حيث ان امتداد القضية قد يفضي بالناس الى الاشتباه او الشك في نقاء ضميـر القاضي ·